احتفالات العبادة الملكية في أفريقيا القديمة

ميشيل كولتيلوني ترانواي

ترجمة: محمد ناجي بن عروص

قسم الآثار، كلية الآداب، الجامعة الأسمرية الإسلامية، ليبيا

Mh_benaros09@yahoo.com

استلمت الورقة بتاريخ 2026/02/10، وقبلت بتاريخ 2026/03/07 ونشرت بتاريخ 2026/03/08

الكلمات المفتاحية: الطقوس الملكية، إفريقيا القديمة، شمال إفريقيا، الإمبراطورية

الملخص

تُعدّ دراسة ميشيل كولتيلوني ترانواي الموسومة بـ الطقوس الملكية في إفريقيا القديمة*، من أبرز الأعمال التي تجمع بين التحليل الرمزي والمقاربة الأنثروبولوجية في تفسير طبيعة السلطة بشمال إفريقيا خلال الحقبة الرومانية. ويأتي هذا النص في صميم الحراك البحثي المعاصر الذي يعيد النظر في الطقوس السياسية، لا باعتبارها مظاهر ثانوية، بل بوصفها آليات جوهرية لترسيخ الشرعية الإمبراطورية وصياغة الهوية الثقافية داخل المجتمعات المستعمَرة.

تقديم:

تنبع أهمية هذا العمل من كونه ثمرة مسار بحثي طويل ومتماسك قدّمته كولتيلوني ترانواي، أستاذة جامعة السوربون، التي أغنت المكتبة الأكاديمية بدراسات دقيقة حول التعدد اللغوي، وعلاقات السلطة، وديناميكيات الخطاب في إفريقيا الرومانية. ويتميّز هذا المقال بكونه من النصوص النادرة التي تفكّك الطقس الملكي في علاقته بالسلطة الرمزية، لا باعتبارها سلطة فوقية فحسب، بل كخطاب يُعاد تشكيله محليًا ضمن فضاءات التفاوض والتمثيل الثقافي.

وقد اخترت ترجمة هذا النص لما يحمله من تقاطع معرفي عميق مع اهتماماتي البحثية المتصلة بفهم السلطة الإمبراطورية من منظور شعائري ورمزي، خاصة في إطار دراساتي المستمرة حول عهد الإمبراطور كومودس، ودور النساء في الفضاء الشعائري. كما أن صلتي بالباحثة من خلال إشرافها على أطروحة الدكتوراه الخاصة بي تضفي على هذه الترجمة قيمة إضافية، وتضعها في سياق علمي يجسّد الاستمرارية الفكرية والتفاعل النقدي مع ما تنتجه مدرسة السوربون في هذا المجال.

احتفالات العبادة الملكية في أفريقيا القديمة.

لم يشهد ملف الطقوس الملكية في إفريقيا القديمة أي اكتشافات حديثة تضاف إليه، ومع ذلك لا يزال يثير الفضول العلمي نظرًا لتعقيده، ولوجود مصادر مميزة تعود إلى الحقبة ما قبل الرومانية. وهذا العامل الأخير يفسّر بلا شك أن المصادر الأدبية والأثرية قد استأثرت بالاهتمام على نحو خاص[1]. ومع ذلك، فإن ملفّ طقوس التعبّد المتأخرة،

*Michèle Coltelloni-Trannoy, «Cérémonies du culte royal dans l'Afrique antique», in Le cérémonial dans les sphères politiques & religieuses à travers les âges, 2017, pp. 23–41.

[1] لقد تناولت عدة دراسات مجمل الملف، لكنها ركزت بشكل خاص على الإنجازات السابقة للعصر الروماني:

Gabriel Camps, Massinissa ou les débuts de l'histoire, Libyca, 8, 1960, p. 279-295 ; Halima Ghazi-ben Maissa, « Le culte royal en Afrique mineure antique », Hespéris-Tamuda, 35, 2, 1997, p. 7-42.

في المقابل:

Mohammed Said Belkacem, « Los testimonios del culto a los reyes Amazigh en Marruecos antiguo », Cuadernos de prehistoria y archeología Universitad autónoma de Madrid, 33, 2007, p. 145-154)

الذي يمتد على مدار العصر الإمبراطوري بأكمله، ليس بالأمر الذي يمكن إغفاله؛ إذ يشهد على الطبيعة الفريدة لعلامات الاحترام والتكريم التي أحاطت بالملوك لفترة طويلة بعد وفاتهم. في قائمة المراجع الغنية المخصصة لهذا الموضوع، برزت أعمال ج. كامبس والمقال المهم لـ ف. كواريلّي وي. تيبيرت بشكل خاص، مع أنّها دعمت أطروحات متباينة بشكل ملحوظ. فقد أكّد الأول، في ستينيات القرن العشرين، وجود عبادة جنائزية بحتة لملوك نوميديا[1]. أما الثاني فقد شدّد، بعد عشرين عامًا، على مسألة تقديس الميت، بفعل تأثير النماذج الهلنستية التي تتجلى في بنية وزخرفة الأضرحة النوميدية[2]. أما الدراسات الأحدث، فقد أكدت بوضوح وجود ظاهرة تأليه الملوك، سواء أثناء حياتهم أو بعد وفاتهم[3]. لقد أتاح لنا مؤتمر سوسة الفرصة لإعادة النظر في بعض هذه المعطيات، وتسليط الضوء على طبيعتها المتناقضة. فالملف يتبيّن أنه غني ومحدود في آن واحد: شواهد معمارية عديدة ومتنوعة، غالبًا ما تتسم بالأصالة، ولكن لم يتم تحديد المستفيدين منها إلا في حالات استثنائية؛ ونطاق زمني واسع جداً يمتد من القرن الرابع قبل الميلاد إلى القرن السادس الميلادي، مما يدل على استمرارية التكريم الموجّه إلى الملوك زمنًا طويلًا بعد زوال الممالك، في قلب الحقبة المسيحية؛ وأخيرًا نقوش بلغات مختلفة: الليبية، والبونية الحديثة، واللاتينية. إن هذا التنوع الوثائقي يدعو إلى التفكير في وجود أشكال متعدّدة من التعبّد، متعاقبة أو متزامنة، لا يمكن اختزالها في نموذج واحد، كما يكشف عن طبيعتها المركّبة وذات التأثيرات المتعددة، بما يتجاوز التصنيفات التقليدية، ويشهد أخيرًا على تطوّر مفهوم الملك عبر مدى زمني طويل، الأمر الذي يثير مسألة التمييز بين «الملوك» والزعماء التقليديين، ومسألة الذاكرة التي احتفظت بها المجتمعات الإفريقية لهؤلاء الأقوياء. لا يمكن الإحاطة بكل هذه الجوانب في إطار مقال واحد؛ لذا سنركّز أساسًا على الشواهد المادية التي جسّدت مظاهر الاحترام الموجّهة إلى القادة السياسيين وأسهمت في ترسيخ ذكراهم. وبعد دراسة المواقع والمنشآت التي احتضنت تلك الاحتفالات، سنتناول القرابين وأشكال التعبّد، على الأقل تلك التي يمكن إعادة تصورها بدرجة معقولة من اليقين. لقد نُسب إلى بعض زعماء القبائل المحلية، حتى في حياتهم، قدرٌ وافر من السلطة، نظرًا لاتساع رقعة الأراضي التي كانوا يسيطرون عليها وكثرة روابط الولاء التي عقدها زعماء الشعوب الأخرى معهم[4]: غير أنّ الممارسات الاجتماعية التي كانت تُقرّ بهذه السيادة وتُعزّزها لم يصلنا منها شيء[5].

لم تُخلّد الذاكرة عبر العصور إلا التبجيلات المتمثلة في النصب التذكارية، إذ ضمنت استمرار ذكرى أولئك الزعماء العظام عبر القرون حتى الأزمنة المتأخرة، ولا تزال أطلالها شامخةً في ربوع المغرب العربي، من المغرب الأقصى إلى ليبيا، شاهدةً على مجدٍ يعود إلى عصور ما قبل التاريخ[6]. لذا فإن الغالبية العظمى من المعالم السابقة

يهتمّ بشكل خاص بالشواهد لتي تعود إلى الحقبة الرومانية.

[1] Gabriel Camps, Massinissa ou les débuts…, op. cit., (rééd.), Les Berbères, mémoire et identité (préface de Salem Chaker), Arles, 2007, p. 222-225.

[2] Filippo Coarelli et Yvon thébert, « Architecture funéraire et pouvoir : réflexions sur l'hellénisme numide », MEFRA, 100, 2, 1988, p. 761-818 ; Fernando Prados Martínez,
Arquitectura púnica. Los monumentos funerarios, Madrid, 2008, p. 120.

يشير إلى مبانٍ تذكارية مكرَّسة لأشخاص متوفّين جرى إضفاء صفة البطولة أو الألوهية عليهم.

[3] انظر الهامش رقم (1):

Ghazi-Ben Maissa et Belkacem.

[4] حول النظام شبه الإقطاعي الذي شكّل أساسًا لنفوذ القادة الأفارقة:

Stéphane Gsell, Histoire ancienne de l'Afrique du Nord, V, 1929, p. 77-78, p. 129-139 ; ibid., VII, 1930, p. 175 ; Gabriel Camps, Massinissa ou les débuts…, op. cit., p. 161, p. 218.

ومع ذلك، كان ثمة هيكل إداري في طور التشكّل:

Stéphane Gsell, Histoire ancienne…, VII, op. cit., p. 71-73, p. 140-142 ; René Rebuffat, « La gestion du royaume numide », dans Claude Briand-Ponsart (dir.),
Centres de pouvoir et organisation de l'espace, Actes du Xe colloque international
sur l'histoire et l'archéologie de l'Afrique du Nord préhistorique, antique et médiévale, Caen, 2014, p. 43-64.

[5] السجود (أو الانحناء الطقسي) الذي قامت به صوفونيسبا أمام ماسينيسا، بحسب (Tite-Live XXX, 12, 12-14) لا يمكن أن يُفهم على أنه دعاء أو ابتهال للإله كما تقترح:

Halima Ghazi-Ben maissa, « Le culte royal en Afrique… », art. cit., p. 15-16 :

فهي تتطابق تمامًا مع وضعية المتضرّع (*miseratio*)، التي مارسها الرومان، وهي قريبة جدًا من الطقس اليوناني (*hiketeia*)
(Jean-Michel David, *Le patronat judiciaire au dernier siècle de la République romaine*, Rome, 1992, part. p. 73-75, 94-95, 625-630 ; John Gould, « *Hiketeia* », *JHS*, 93, 1973, p. 73-10.)

[6] Gabriel Camps, *Monuments et rites funéraires protohistoriques : aux origines de la Berbérie*, Paris, 1961.

تحتضـــن موريتانيا الغربية (المغرب الحالي) أيضًـــا عددًا كبيرًا من المعالم الجنائزية ذات الأنماط والأحجام المختلفة؛ ومن ذلك تلة الدفن (*tumulus*) في مدينة وليلي الأثرية، العائدة إلى القرن الأول قبل الميلاد:

(Rachid Arharbi et Abdelfattah Ichkhakh, « Nouvelles observations sur le mausolée de Volubilis », *AntAfr*, 40-41, 2004-2005, p. 303-310 ; L. 10, 75 m x 1. 4 à 4, 20 m).

وتلك الخاصة بسيدي سليمان، والمؤرخة على أقصى تقدير بالقرن الثالث قبل الميلاد:

للعصر الروماني هي جنائزية، والاستثناء الوحيد المعروف هو مبنى مشيَّد في الفورم النوميدي بدُقَّة[1]، وقد تم تحديده على أنه «معبد ماسينيسا»[2] من خلال كتابة باللّيبية والنيوبونيقية[3] اكتُشفت بالقرب من المبنى. لا يمكن في الوقت الحاضر أن تُنسب أي من المنشآت الجنائزية، مهما كانت بنيتها وزخرفتها وأبعادها، بيقينٍ تام إلى ملكٍ تُثْبِت وجوده النصوص الأدبية أو النقوش الكتابية[4]. إن وصف «الضريح الملكي» يجب أن يتم بحذر شديد؛ إذ أنّه في الواقع، باستثناء النصب التذكاري الضخم في مدينة تيبازة، فإنّ باقي المباني الأخرى المنسوبة إلى «ملوك» قد تكون من إنجاز عائلات محلية قوية، وتهيمن على منطقة محدودة، أو على المدن القريبة منها فقط. لا يُشكّل ضريح مدغاسن استثناءً؛ إذ إن تاريخ بنائه (في القرن الرابع قبل الميلاد) يُثبت هيمنة أسرة من الحكام"Agellids" الماسيليين في فترةٍ كانت سيطرتهم الإقليمية لا تزال أقل بكثير من تلك التي تمتع بها ماسينيسا بعد قرنين من الزمان. وهذه الضبابية في تحديد هوية الأضرحة المعروفة بـ 'الملكية' تحمل في ذاتها دلالة مهمة؛ إذ قد تشير إلى أن الملوك الأفارقة، الذين ورد وصفهم بهذا الشكل في المصادر اليونانية-اللاتينية، لم يكونوا يتمتّعون بمنشآت مميّزة بوضوح عن تلك التي شيّدها زعماء آخرون، سواء كانوا معاصرين أو سابقين أو حتى لاحقين، ممن كانوا يسيطرون على شعوب أو مدن[5]. هذه الملاحظة أيضًا ينبغي ربطها بعدم الدقة التي تميّز اللقب المعترف به لكلٍ من ماسينيسا وميكيبسا في المصادر الليبية والبونية، وما يستتبع ذلك من الالتباس الذي يحيط بتعريف 'الملك': فمصطلح (أقيلّيد) gld (agellid)، الذي يكون مترجمًا في النصوص الثنائية اللغة إلى البونية بـ "hmmlkt"، يدلّ على مسؤولين من مستويات متعددة: قادة فرق، أو زعماء شعوب، أو زعماء مدن، أو حتى رؤساء كيانات إقليمية كبيرة، أولئك الذين اعترف بهم اليونانيون والرومان بوصفهم

(Rachid Arharbi, « À propos de la chronologie du monument funéraire de Sidi Slimane : le tumulus de Koudia El Hamra », *BAM*, 21, 2009, p. 246-249 ; diam. 47 m x H. 6 m).

تُجري نزهة بودوحو، منذ عدة سنوات، مسوحات منهجية ومنتظمة في شرق المغرب:

« Les monuments funéraires du Maroc oriental : les *tumuli* », dans François Déroche et Jean Leclant (dir.), *Monuments et cultes funéraires d'Afrique du Nord. Actes de l'IVe Journée d'études nord-africaines organisée par l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres et la SEMPAM*, Paris, 2010, p. 9-46, 23 fig.; *ead*., « Un chapelet de *tumuli* découvert dans l'Est marocain », dans Claude Briand-Ponsart (dir.), *Centres de pouvoir et organisation de l'espace, Actes du Xe colloque international sur l'histoire et l'archéologie de l'Afrique du Nord préhistorique, antique et médiévale (Caen 25-28 mai 2009)*, Caen, 2014, p. 525-542, 13 fig.

للحصول على نظرة عامّة تخص المعالم الجنائزية الكبرى لدى النوميديين، حتى الحقبة المتأخرة، يُمكن الرجوع إلى الدراسة الموجزة التي أعدّها جان-بيير لابورت وفريد خربوش، تحت عنوان "الأضرحة"، في موسوعة البربر، العدد 31، سنة 2010، الصفحات 4758-4777، مع خريطة تُلخّص مواقع هذه المنشآت، من القرن الثاني قبل الميلاد إلى العصر الوندالي (الشكل 1، ص 4758).

[1] مدينة أثرية في شمال عرب تونس. المترجم

[2] Sophie Saint-AmanS, Topographie religieuse de Thugga (Dougga). Ville romaine d'Afrique proconsulaire (Tunisie), Bordeaux, 2004, p. 46-49 ; Samir Aounallah et Jean-Claude Golvin (dir.), Dougga. Études d'architecture religieuse, 2. *Les sanctuaires du forum, du centre de l'agglomération et de la Grande rue courbe*, Bordeaux, 2016, p. 47-58, fig. 48-62c.

[3] Jean-Baptiste Chabot, Recueil des inscriptions libyques (= *RIL*), Paris, 1940-1941, n° 2 ; Salem Chaker, « Retour sur un grand classique, *RIL* 2, la dédicace à Massinissa », *Studi Magrebini*, 3, 2005, p. 3-18.

[4] Jean-Pierre Laporte et Farid Kherbouche, op. cit. ; Fernando Prados Martínez, *Arquitectura púnica…, op. cit*., p. 127.

وهذا الأخير يحافظ على الإسنادات التقليدية دون أن ينخرط في النقاش.

[5] فيما يخص العائلات النبيلة البونيقية:

Antonino Di Vita et *alii*,« Mausoleo (Il -) punico-ellenistico B di *Sabratha* », *Quaderni di Archeologia della Libya*, 20, 2009, p. 5-116 ; Alia Krandel-Ben YounèS, *La présence punique en pays numide*, Tunis, 2012 ; Fernando Prado Martínez, *Arquitectura púnica*…, *op. cit.*

لقد استمر هذا التقليد في العصر الروماني، بالنسبة للعائلات ذات الأصل الروماني أو الروماني الأفريقي، على سبيل المثال:

Naidé Ferchiou, « Les mausolées augustéens d'Assuras (Zanfour, Tunisie) », *MEFRA*, 99, 2, 1987, p. 767-821 ; Jean-Marie Lassère, sv *Cillium*, *Encyclopédie berbère*, 13, 1994, p. 1954-1957, 1 fig. ; Hajer Hrimi,« Les traces de l'acculturation libyco-punique dans les monuments tardifs du pays de l"Arad" (Gabès et sa région) », dans Ahmed Ferjaoui (dir.), *Carthage et les autochtones de son empire du temps de Zama, Hommage à Mhamed Hassine Fantar, Colloque international organisé à Siliana et Tunis (10-13 mars 2004)*, Tunis, 2010, p. 519-529, 10 fig.

ملوك (basileis) أو (reges)[1]. قد لا يكون ثمة عمارة جنائزية ملكية بالمعنى الدقيق، تمامًا كما هو الحال في عدم وجود مفهوم واضح للملكية نفسها، فقط الحجم الاستثنائي لبعض القبور هو الذي يوحي بوجود سلطة لا مثيل لها، قوة فائقة على نحو ما، سواء في تركيبتها المعمارية أو في تعبيرها السياسي. لكن هذا التقدير يبقى نسبيًا للغاية: فعند أي حجم تصبح عنده المقبرة "ملكية"؟ وماذا عن الزعماء المدفونين في التلال الجنائزية الضخمة بموريتانيا الغربية، والذين بقيت أسماؤهم ومكانتهم مجهولة في المصادر الأدبية[2]؟ لا بد من الإقرار بأن لغة السلطة وذاكرة السلطة لم تكن، في إفريقيا، حكرًا على أصحاب «السلطة الملكية»؛ بل كانت بالأحرى مشتركة بين كل من امتلك قدرًا من النفوذ على مساحة ما أو على جماعةٍ معينة. وعلاوة على ذلك، فقد اتخذت هذه العمارة مع مرور الزمن أشكالًا متنوّعة؛ بعضها مستوحى منذ القرن الرابع/الثالث قبل الميلاد من التقاليد المحلية، وبعضها الآخر من التصاميم المتوسطية البونية والهلنستية، فنشأ عن ذلك مشهد معماري يتسم بتنوّع وابتكار مدهشين. وقد لاحظت ن. فرشيّو ذلك منذ نحو عشرين عامًا، حيث قالت:

«تُظهر الشواهد النادرة للفنّ المعماري النوميدي التي بقيت إلى اليوم إلى أي حدّ يخرج هذا الفنّ عن كل تقليد، ويشقّ مسارات جديدة، ويقدّم خيارات لم يكن المرء ليتجرّأ على تخيّلها قبل اكتشاف تلك المباني[3]».

وهناك مؤشر آخر يمكن استخلاصه من هذه المباني وهو على وجه التحديد هو أنها في جوهرها منشآت ضخمة خالية، بالتالي، من أي صلة بالأماكن الدينية القديمة في إفريقيا؛ إذ يبدو أن النموذج المعماري التقليدي للمعبد الليبي كان يقوم على الفضاء المقدّس، الخالي تمامًا من أي بناء[4]. باختصار، استفاد البشر - سواء في حياتهم أو بعد مماتهم - من المساكن، بينما أقامت الآلهة في الفضاءات المفتوحة. هذا الاختلاف يكشف عن وجود نموذجين أنثروبولوجيين متمايزين، وعن تنظيمين مختلفين للفضاء، يُرجَّح أنّ لهما انعكاسات عملية كانت تؤثّر في طبيعة الطقوس التي أُقيمت داخلهما. ومع ذلك، فإن موقع الأضرحة، التي كانت جميعها خارج المدن، سمح بإقامة فعاليات واسعة النطاق تضم حشودًا غفيرة، مما جعلها أقرب إلى القرابين الجماعية المقدمة للآلهة.

إذا تأملنا مواقع المباني الجنائزية، نلحظ تنوّعها؛ فبعضها شُيّد في قلب الريف، وبعضها الآخر عند أطراف المدن. ومع ذلك، فإن جميعها، بحكم موقعها وأبعادها، كانت في الغالب مرئية من مسافات بعيدة. وهذه الرؤية التي تضعها في موقع مهيمن داخل المشهد الطبيعي، كانت تعكس سلطة الزعيم المدفون وأسرته على الإقليم، سواء كان

---

[1] Salem Chaker, sv Agellid, « roi », *Encyclopédie berbère*, 2, 1985, p. 248-249 ; Gabriel Camps, sv Agellid, Titre royal numide, *Encyclopédie berbère*, 2, 1985, p. 249 ; Salem Chaker, « Retour sur un grand classique… », art. cit., p. 7.

[2] على سبيل المثال، قبر سيدي سليمان، ذو قطر كبير (لكن بارتفاع متوسط يبلغ 6 أمتار)؛ انظر أعلاه الهامش رقم 7. وكذلك قبر مزورة، الواقع بين طنجة والعرائش، (بقطر يبلغ 58 مترًا وارتفاع 6 أمتار):

Halima Ghazi-Ben Maïssa, « Le culte royal en Afrique… », art. cit., p. 30-31.

كان بوكوس الأول يتفاخر بأنه أعظم ملك على هذه الأرض ومن بين جميع الملوك الذين أعرفهم:

(Sall., Jug., XC, 1)

بينما يشير برودانس (Prudentius) في كتابه Peristephanon، القسم الرابع، الأبيات 45-48، إلى المقابر الملكية في طنجة.

[3] Naidé Ferchiou, « Kbor Klib », *Quaderni di archeologia della Libia*, 14, 1993, p. 45-97, voir p. 74.

[4] على سبيل المثال، المعبد B في وليلي خلال مرحلته الأولى:

Véronique Brouquier-Reddé, Abdelaziz el Khayari et Abdelfattah Ichkhakh, « Le temple B de Volubilis : nouvelles recherches », *AntAfr*, 34, 1998, p. 65-72.

يعتقد بأن معظم الآلهة الإفريقية، شأنها شأن ما يُعرف في الثقافة الشعبية المعاصرة بالجنّ، كانت في الأصل بمنأى عن الحاجة إلى تماثيل أو معابد أو كهنة. في زمن الممالك المورية والنوميدية، خلال القرنين الثالث والأول قبل الميلاد، يبدو أن العمارة الدينية قد تطوّرت بالفعل نحو تبنّي أشكال أكثر متوسطية (هلنستية أو رومانية)؛ إذ تُظهر إحدى عملات يوبا الأول ما يُعرَّف على أنه معبد:

Jacques Alexandro Poulos, Les monnaies de l'Afrique antique, 400 av. J.-C.-40 ap. J.-C., Toulouse, 2000, p. 401, n° 29, p. 402, n° 34.

فيما يخصّ القصور، راجع:

Hichem Ksouri, Le *théâtre* de Bulla regia *dans son contexte urbain*, Thèse de 3e cycle, Bordeaux III, 2012 ; Philippe Leveau, « Le bâtiment d'Ennabod (« redoute Amabar ») à Cherchell : un pavillon royal à Caesarea ? », dans Sabah Ferdi et Farid Ighilahriz (dir.), *Les séminaires du CNRA*, Alger, 2014, p. 10-23.

حول وجود تقنيات إنشائية محدّدة:

Youcef Chennaoui, « Le procédé constructif : système technique et de mise en œuvre du mausolée royal de Maurétanie à Tipasa. Nature et filiations », *L'Africa romana*, 18, 1, 2010, p. 215-231 ; Roger Hanoune, « Un marqueur de la construction numide : l'appareil à demi-blocs dans quelques constructions du royaume de Massinissa », dans Dida Badi (dir.), *Massinissa au cœur de la consécration du premier État numide, Actes du colloque de Constantine (20-22 septembre 2014)*, 2015, p. 387-410, 10 fig.

ريفيًا أو حضريًا أو كليهما معًا. فيما يخصّ المعالم الجنائزية الريفية، فإن عزلتها لم تكن سوى ظاهرية؛ إذ كشفت الحفريات والمسوح الأثرية أنها كانت محاطة بمقابر أصغر، لتكوّن بمجموعها مقبرة جماعية. وعليه، ينبغي فهم مدغاسن على أنه ضريحًا لسلالة من الزعماء الإقليميين الذين كانوا يسيطرون على منطقة شاسعة بين الأوراس[1] وسيرتا (وربما الماسيل)، وكانت عشائر أخرى، متفاوتة المكانة، تدين لهم بالولاء. وقد دُفن أفراد هذه الأسر بالقرب من سيّدهم الأعلى في تلال جنائزية (*tumuli*) تشغل مساحة شاسعة تزيد على كيلومترين، محاطة بسور[2]. هذا ينطبق أيضًا على القبور القريبة من المدن، مثل قبر بني رنان قرب سيغا[3]، المحاط بالتلال الجنائزية والبازينات والدوائر الحجرية، أو القبر الرمزي (Cénotaphe) في دُقّة، المشيَّد في مقبرة إلى الجنوب من المدينة[4]. وعلى العكس من ذلك، يتميّز قبر تيبازة[5] بعزلته التامة، إذ يقع على بُعد نحو خمسة عشر كيلومترًا من المدينة، ويبدو منفصلًا تمامًا عن أي محيط جنائزي.

إن قبر ميكيبسا هو الوحيد الموثَّق بشهادة كتابية، مع أنّ المبنى نفسه يبقى غير معروف. غير أنّ الوثيقة – وهي لوحة صغيرة من الرخام الوردي عُثر عليها في شرشال وتحمل نصًّا بالبونية الجديدة – يمكن أن تقدّم بعض المعلومات حول الطراز الذي انتمى إليه القبر. ورغم صعوبات القراءة، فهي تذكر وجود غرفة جنائزية، إضافة إلى أعمدة وقواعدها التي كانت تحيط بالمبنى أو بطابقه العلوي. وتشير هذه القرائن إلى أنّ المبنى كان يندرج ضمن سلسلة الأضرحة البرجية التي ظهرت في القرن الثاني قبل الميلاد، وقد اتخذت ثلاثة مخططات: مربّع، سداسي، أو مستطيل. بعض الأضرحة تضمنت أعمدةً معشقة بالجدران، كما هو الحال في دقة وبني رنان[6]، وينطبق هذا أيضًا على الأضرحة الدائرية في مدغاسن وتيبازة. بينما تميزت أضرحة أخرى بأعمدة أيونية أو دورية، مثل أضرحة خروب، وشمتو، وقبر كليب بتونس. أما الغرفة الجنائزية، المخصَّصة للدفن بالحرق أو بالدفن المباشر، فقد وُجدت في مواقع مختلفة من المبنى: إما تحت الأرض (بني رنان)، أو في القاعدة السفلية (دُقّة، هنشير بورغو في جربة)، أو في الطابق العلوي (خروب). إن مجموع هذه الخصائص، سواء البنيوية أو الزخرفية، يرتبط بمقابر المعابد في منطقة البحر المتوسط، وأبرز نماذجها ضريح هاليكارناسوس، بل وحتى مبانٍ أقدم في مصر وسوريا، ومن بينها ضريح الإسكندر الذي شكّل محطة أساسية في هذا التطور[7]. أما قبر ميكيبسا فموقعه يظل موضع إشكال؛ إذ إن صِغر حجم لوحة تكريس المبنى (30 × 23 سم)، والتي توحي بطابعه المعماري، دفع إلى الاعتقاد بأن موضع العثور عليها لم يكن موقع القبر الأصلي، بل مكانًا آخر بعيدًا عنه[8]. من المفيد أن نُذكّر بظروف هذا الاكتشاف. فقد أشار إليها ف. برجيه الذي نشر النقش عام

---

[1] الأوراس (Aurès) هو إقليم جبلي في شـــمال شـــرق الجزائر، يُعرف بجبال الأوراس، ويُعتبر موطنًا تاريخيًا لقبائل الميســـولامي (Musulamii) والتي كان من أبرز زعماؤها تاكفاريناس (Tacfarinas)، المترجم،

[2] Gabriel Camps, sv Médracen, *Encyclopédie berbère*, 31, 2010, p. 4834-4852, voir p. 4846.

[3] سيغا (Siga) هي مدينة أثرية تقع في ولاية عين تموشنت شمال غرب الجزائر، وكانت عاصمة المازيسيل (Masaesyli)، اتخذها الملك سيفاكس (Syphax) مقرًا لسلطته، المترجم.

[4] Gustave Vuillemot, « Fouilles du mausolée de Beni Rhenane », *CRAI*, 1964, p. 71-95 ; Jean-Pierre Laporte, « Siga et l'île de Rachgoun », *L'Africa romana*, 16, 2004, p. 2582-2593 ; Claude Poinssot, *Les ruines de Dougga*, Paris (rééd.), 1983, p. 18 ; Gabriel Camps, sv Dougga, *Encyclopédie berbère*, 21, 1995, p. 2522-2527, voir p. 2522.

[5] تيبازة مدينة أثرية تقع على الساحل الغربي للعاصمة الجزائر. المترجم

[6] منطقة تقع في ولاية عين تموشنت، شمال غرب الجزائر. المترجم

[7] Filippo Coarelli et Yvon Thébert, « Architecture funéraire et pouvoir … », art. cit.
إن رفع الغرفة الجنائزية إلى الطابق العلوي يمثّل سمة مميزة، مستوحاة من مقابر الحوانيت ذات الغرف المتراكبة، كما يظهر في موقع أوزالي سار:

Naidé Ferchiou, « Kbor Klib », art. cit., p. 70-71, fig. 35-37.

[8] Charles-André Julien, *Histoire de l'Afrique du Nord*, Paris (2e éd.), 1930, p. 100, نسبها إلى ماسينيسا ; James-Germain Février, «L'inscription funéraire de Micipsa », *Rev. d'Assyriologie et d'Arch. orientale*, 45, 1951, p. 139-150, voir p. 148.

، يضع قبر ميسيبسا في خروب يتبعه في هذا الرأي

:

Gabriel Camps, « Nouvelles observations sur l'architecture et l'âge du Médracen, mausolée royal de Numidie », *CRAI*, 1973, p. 470-517, voir p. 515 ; id., « Les Numides et la civilisation punique », *AntAfr*, 14, 1979, p. 43-53, voir p. 53 ; Friedrich Rakob, Ḫ Numidische Königsarchitektur in Nordafrika ḫ, dans Heinz Günter horn et Christoph rüGer (dir.), *Die Numider, Reiter und Könige nö rdlich der Sahara*,Bonn, 1979, p. 287-382 ; id., « Architecture royale numide », dans *Architecture et société de l'archaïsme grec à la fin de la République romaine*, Paris-Rome, 1983, p. 325-348, voir p. 335-336 ; Youcef Aïbeche, « Le mausolée royal de la Soumâa », dans Geneviève Sennequier et Cécile Colonna (dir.),

1889، وضمنها في مقتطف من رسالة بعثها إليه السيد شميتر بهذا الخصوص: إذ إن هذا الأخير كان قد اشتراها من صانع ساعات يُدعى السيد ليرات، الذي حصل عليها من عمّال كانوا يشتغلون في ملكية السيد ماركادال، الواقعة على بُعد أربعمئة أو خمسمئة متر على يسار الطريق المؤدي من شرشال إلى تنس، وعلى الضفة اليمنى لوادي القنطرة، على مسافة تقارب كيلومترين غرب شرشال[1]. من اللافت الإشارة أنّه في هذه المنطقة بالتحديد، على جانبي النهر، عُثر على مجموعة مهمة من النقوش الجنائزية القديمة، من بينها نقوش تخصّ المعتَـقين والعبيد التابعين ليوغرطة الثاني، إضافة إلى اثنين من المقابر من نوع الـ "columbarium" المؤرَّخين بالنصف الأول من القرن الأول الميلادي[2]. ونرى أنّ ذلك يتجاوز مجرد المصادفة. صحيح أنّ قبر يوبا الثاني وزوجته كليوباترا سيليني لم يُعثر عليه بعد، وأنّ هناك مقبرة جماعية ثانية تعود إلى العصر الملكي تقع شرق المدينة، قرب وادي نسارة[3]، وهي مؤهَّلة بالقدر نفسه لأن تكون قد احتضنت القبر، ما لم يكن الملوك قد اختاروا موقعًا آخر تمامًا في إيول[4]. بغض النظر عن الموقع الدقيق للقبر في إيول[5]، ينبغي الإقرار بأنّه أدّى دورًا في إضفاء الشرعية، إذ منح سلطة يوبا الثاني الناشئة، والمدعومة بقوة روما، مظهرًا من الرسوخ التاريخي. من الصعب تحديد تاريخ بنائه بدقة: فبالنظر إلى أن من بنى النصب كان أحد أقارب ميكبسا (ابن أخ حفيده)، ولأن أياً من ورثة العرش لم يُذكر اسمه، فقد اقترح جان جورج فيفرييه أن تاريخ بنائه يعود إلى فترة الاضطراب التي شهدتها الحرب اليوغورطية. مع ذلك، يذكر سالوست بوضوح أن الخلفاء الثلاثة كانوا حاضرين وقت الجنازة، ولم يكونوا قد دخلوا في صراع بعد[6]. إن غياب أسمائهم في النقش لا يشكّل برهانًا قاطعًا على عدم مشاركتهم في المراسم أو في تشييد الضريح[7]؛ إذ يُرجَّح أن لوحة أخرى أو عدة لوحات، وقد اندثرت اليوم، كانت قد رافقت اللوحة التي وصلتنا، مضيفةً تفاصيل إضافية وموثِّقةً أسماء ورثة العرش. في الواقع أن مدينة إيول لم تثر اهتمام الملوك إلا ابتداءً من عهد بوكوس الأول (حوالي 118-80 ق.م؟)، ذلك الملك الموري الذي وسّع سلطانه في بلاد النوميديين بعد حرب يوغورطة، في حين أن أولى أعمال التخطيط الحضري تُنسب إلى بوخوس الثاني (حوالي 49-33 قبل الميلاد)، وذلك ما مهّد للتحولات الكبرى التي أحدثها يوبا الثاني بعد جيل واحد[8]. ومع ذلك، لا يُستبعد أن يكون لموقع إيول أهمية منذ عهد ميكبسا نفسه ولدى خلفائه المباشرين، في إطار مملكة مترامية الأطراف كانت

L'Algérie au temps des royaumes numides, Ve siècle av. J.-C.-Ier siècle ap. J.-C., Paris, 2003, p. 97-100, 2 fig.

غير أن البعض الآخر يتسم بقدر أكبر من التحفّظ:

Jean-Pierre Laporte et Farid Kherbouche, op. cit., p. 4758 ; Mansour Ghaki, sv Micipsa-MKWSN, *Encyclopédie berbère*, 30, 2010, p. 4984-4989, (بصف هذا الإسناد بأنه غير مؤكد للغاية) , p. 4987.

[1] Philippe Berger, « Inscription néopunique de Cherchel en l'honneur de Micipsa », *Revue d'Assyriologie et d'arch. orientale*, 2e année [1888], 1889, p. 1-12, 1 fig., voir p. 2, n. 1.

وقد أُهديت اللوحة بعد ذلك من قِبل السيد شميتر إلى متحف اللوفر، حيث ما تزال محفوظة هناك.

[2] Philippe Leveau, « Trois tombeaux monumentaux à Cherchel », *B.A.A.*, 4, 1970, p. 101-148, voir p. 121-148 ; id., « Nouvelles inscriptions de Cherchel », *B.A.A.*, 7, 1977-1979, p. 111-192, par ex. n° 244, n° 246 ; id., « Recherches sur les nécropoles occidentales de Cherchel (*Caesarea* de Maurétanie) 1880-1961 », AntAfr, 19, 1983, p. 85-173 ; id., *Caesarea de Maurétanie, une ville romaine et ses campagnes*, Rome, 1984, p. 29 et 111.

[3] Philippe Leveau, « Trois tombeaux … », art. cit., p. 101-120 et « *Caesarea* de Maurétanie… », art. cit., p.28 et 111.

[4] لقد جرى الاستشهاد بقبر تيبازة بانتظام باعتباره قبرًا سلاليًا منذ عهد سلالة ملوك بوخوس، وذلك بسبب تأريخه (القرن الثالث – القرن الأول قبل الميلاد)، وبسبب ما ذكره بومبونيوس ميلا (الكتاب الأول، فقرة 31)، الذي أشار – وإن كان بشكل غير دقيق – إلى وجود نُصُبٍ مشترك للعائلة الملكية يقع بين إيول-قيصرية وإيكوسيوم. تظل نسبته موضع إشكال قائم:

(Jean-Pierre la Porte et Farid Kherbouche, op. cit., p. 4761),

وكان يوبا الثاني نوميديًا لا موريًا، ولذلك لم يكن بالضرورة يشعر بارتباطه بالسلالة الموروية.

[5] إيول (Iol) المعروفة اليوم باسم شرشال بالجزائر. المترجم

[6] Sall., Jug., XI, 2 : *Postquam illi more regio iusta magniice fecerant, reguli in unum conuenerunt ut inter de cunctis negotiis disceptare.*

«شيّعه الملوك الشبان بجنازة رسمية مهيبة تليق بسلطان، ثم اجتمعوا للتداول في شؤون المملكة».

[7] لقد أدّت صعوبات القراءة إلى ترجمات متباينة بشكل ملحوظ؛ فحيث ترجم فيفرييه النص على النحو التالي: «لقد أُقام له هذه التمثال عند مدخل الغرفة الجنائزية، مع هذا القبر، يَعْزام…»

James-Germain Février, 1951, p. 148.

نجد أن يونغيلينغ ترجم: «أُقيم له هذا التمثال عند مدخل الغرفة الجنائزية يَعْزام…».

Karel Jongeling, *Handbook of Neo-Punic Inscriptions*, Tübingen, 2008, p. 195.

في الحالة الأولى، يُنسب الفضل إلى، يَعْزام في كلٍّ من التمثال والمقبرة؛ أما في الحالة الثانية، فيُنسب إليه الفضل في التمثال فقط. جيمس جيرمان يؤرخ النصب التذكاري بين عامي 118 و 104، وهو تاريخ وفاة يوغرطة.

James-Germain Février, *ibidem*, p. 150.

[8] Philippe Leveau, « *Caesarea* de Maurétanie… », art. cit., p. 19-20, p. 25-80.

عاصمتها سيرتا، وتضم عدداً من المقار الملكية (regiae) في شرق الإقليم (بولا ريجيا، هيبو ريجيوس، ثيميدا ريجيا، زاما ريجيا)، بينما لم يوجد في قسمها الغربي سوى مقر واحد[1]. لقد سبق أن طرح ج. كامبس هذه الاحتمالية، إذ لم يكن يستبعد "أن تكون إيول عاصمة لهذا الملك، في موقع يتوسط بين سيغا وسيرتا"[2]. وعلى أي حال، فقد كانت تحتل مساحة معتبرة منذ عهد ميكبسا (نحو 8-10 هكتارات)، وربما بقيت تابعة للماسيليين حتى ثمانينيات القرن الأول قبل الميلاد[3].

تكشف الشواهد المرتبطة بالعبادة الملكية عن انتقالنا إلى فضاء مغاير تمامًا، هو فضاء المدينة. وأقدم ما وصلنا في هذا السياق نقش ثنائي اللغة (الليبية/البونيقية الجديدة) عُثر عليه في الفورم الروماني بدُقَّة، المشيَّد فوق الساحة العامة التي تعود إلى العصر النوميدي. وتُظهر النسخة البونيقية وجود معبد (mqdš)[4] أقامه مواطنو دُقَّة تكريمًا للملك (mmlkt) ماسينيسا، مع التنويه بنَسَبه، أي والده وجدّه؛ وقد جرى تأريخ هذا الإهداء بالسنة العاشرة من حكم ميكيسا، أي سنة 138. وتُسجّل الوثيقة أربعَة أجيال من رجال السلطة (ثلاثة ملوك وسوفِيت واحد)، فيما يستند التكريم الموجَّه إلى أبرزهم، ماسينيسا، إلى نصبٍ يُعدّ قبل كل شيء مكانًا للذاكرة، دون أن يتضح على وجه الدقة طابعه المقدّس. إنّ المصطلح البونيقي mqdš، الذي يُترجم عادةً بـ«معبد» حين يُنسب إلى إله، يعكس بجلاء حجم الاحترام الذي أحاط بالملك الراحل؛ وهو احترام اتخذ، في العالم القديم، صورًا شبيهة بأفعال التقديس والورع الموجَّهة إلى الآلهة. كان يُنظر إلى سلطة الإله على أنها من طبيعة مماثلة لسلطة الملك، بل أقرب إلى سلطة الميت؛ ولم يكن الاختلاف إلا في مقدار القدرة والقوة. إن النصب المذكور في هذا النص قد تم تحديده حاليًا على أنه بناء مجاور لمبنى الكابيتول بدُقَّة، ولم يتبق منه سوى القاعدة المستطيلة: تشير الحفريات التي أجراها فريق فرنسي تونسي إلى أنه يعود إلى القرن الثالث قبل الميلاد، ويشبه هيكله هيكل ضريح شمتو (القرن الثالث–الثاني قبل الميلاد)[5]. يبدو أننا أمام نصبٍ تذكاري فريد، ليس قبرًا ولا معبدًا، بل يجمع بين فضائي التقوى والورع. أما بُعده السياسي، وقد شُيّد في قلب مدينة نوميدية، فلا جدال فيه: إذ جسّد ولاء المدينة للسلالة الملكية، وأعلن أسبقية هذه السلالة على إقليم كان يومًا موضع نزاع مع قرطاج، وأضحى لاحقًا جارًا للمقاطعة الرومانية، على بُعد كيلومترات قليلة من الخندق الملكي " fossa regia".

خلال العصر الروماني، استمرت التشريفات الموجَّهة إلى الملوك النوميديين في العديد من المدن الإقليمية بأشكال متنوعة، عُرفت من خلال النقوش والوثائق الأثرية. وقد ارتبط اثنان منها بوضوح بمبنى، بينما يُرجَّح أن يرتبط اثنان آخران كذلك بمبنى آخر. ويشير الإهداء إلى الملك هيمبسال، ثم إلى الملك غاودا، وهو عمل جماعي من المواطنين والمقيمين (incolae) في ثوبورسيكو نوميداروم (Thubursicu Numidarum)، إلى أن هؤلاء قد شيدوا مبنى في تاريخ غير معروف، دون أن تصلنا أي تفاصيل عن هيئته[6]. في مدينة سالا[7]، بمقاطعة موريتانيا الطنجية، أقيم في القرن الأول الميلادي معبد بخمس حجرات رئيسية، مكرَّس لإله مجهول. وقد عُثر في طبقاته المتأخرة (القرن الرابع الميلادي) على تمثال للملك بطليموس، أكبر قليلًا من الحجم الطبيعي. كما وُجد رأس للملك يوبا الثاني في الفورم، أيضًا بين أنقاض تعود لفترة متأخرة، دون أن يكون من الممكن تحديد موقعه الأصلي[8]. دليل آخر، من مدينة شرشال ومؤرَّخ بالعصر الملكي، يفترض وجود معبد صغيرة مكرَّس للإلهة فينوس؛ إذ قدّم أحد المواطنين الرومان لهذه الأخيرة مجموعة نحتية تتكوّن من تمثال للإلهة وتماثيل لمرافقيها، الملكين يوبا الثاني وبطليموس، مقرونة بأربعة

[1] ريجيا (أربال)، بلدة صغيرة في منطقة وهران: يذكر كامبس أن المدن "الملكية" كانت تقع في نطاقات ملكية دون أن تكون عواصم؛ بينما يرى غاكي أنها كانت مقرّاً لمسؤولين إقليميين.

Gabriel Camps, 1960, p. 212; Mansour Ghaki, « L'organisation politique et administrative chez les Numides », dans Jeanine Drouin et Arlette Roth (dir.), *À la croisée des études libyco berbères, Mélanges offerts à P. Galand-Pernet et L. Galand*, Paris, 1993, p. 89-101, voir p. 96.

[2] Gabriel Camps, *Massinissa ou les débuts…, op. cit*., p. 239.

يشير أيضًا إلى احتمال وجود قبرٍ رمزي (Cénotaphe)، غير أننا لا نرجّح كثيرًا هذا الاحتمال.

[3] فرضية صاغها لوفو: Philippe Leveau, « *Caesarea* de Maurétanie… », art. cit., p. 12-13. لكنه لاحقًا نسب إليها رتبة العاصمة في عهد المملكة المورية.

(sv *Caesarea Mauretaniae*, *Encyclopédie berbère*, 11, 1992, p. 1698-1706, voir p. 1698).

[4] يبقى المصطلح الليبي المقابل للبونيقي مجهولًا، إذ حالت فجوة في الحجر، عند ذلك الموضع، دون تحديده بدقة.

[5] راجع الهامش رقم 8.

[6] CIL, 8, 17159 = ILAlg, 1242 : *Reg[i] Hiempsa[li] / Gaudae reg[is i]lio [ciues] / [et i]ncolae Thu[bursic(enses) ae]/diic[auer(unt)] GLOR[3] OPT[3] / [3] Iulius Procu[lus.*

[7] مدينة سالا (Sala Colonia) هي موقع أثري روماني–بربري يقع في المغرب، قرب مدينة سلا الحالية على الضفة الشمالية لنهر أبي رقراق مقابل الرباط. المترجم

[8] بوب ينسبها إلى أحد معابد الفورم:

Jean Boube, « Un nouveau portrait de Juba II découvert à Sala », *BAM*, 6, 1966, p. 91-106.

رموز ملكية[1]. وأخيرًا، تكرّم ثلاثة وثائق الملك غولوسا أو بطليموس بصيغ لاتينية خالصة[2]، توحي بسياق ديني، ولكن من دون أن تذكر صراحةً وجود مبنى، وإن كان ذلك أمرًا مرجَّحًا. جرت العادة على جمع التشريفات الموجَّهة إلى الملوك الأفارقة تحت مسمّى «العبادة الملكية»، رغم اختلاف أماكنها وصيغها وممارساتها، وما شهدته من تطورات كبيرة منذ العصر النوميدي حتى العصور المتأخرة.

في الفترة ما قبل السيطرة الرومانية، كانت هذه التشريفات تُنظَّم أساسًا – على ما يبدو – ضمن ممارسات جنائزية قديمة، غير أنّ التأثير الهلنستي أعاد توجيهها نحو أشكال جديدة من القداسة. وإضافة إلى ذلك، فإنه منذ عهد ميكيبسا على الأقل، استطاعت مراكز المدن النوميدية أن تحتضن، كما في دُقّة، أماكن لحفظ ذكرى الملوك؛ ونجد أثرًا مشابهًا لذلك لاحقًا في ثوبورسيكو نوميداروم[3] وفي مدينة مجهولة بمنطقة غادياوفالا[4]، وذلك في مبادرات غير مألوفة، حيث مُنحت ملوك متوفّون – مثل غولوسا وهييمسال (الأول أو الثاني) – أفعالًا تكريمية كانت في الأصل تُخصَّص عادةً لأعضاء النخب البلدية وهم على قيد الحياة. في الوقت ذاته، تظهر خطاب ديني أكثر وضوحًا، بما يتوافق مع التكريم الذي كان يُحيط بالأباطرة: إما أن يُكرم الملك بشكل مباشر أو من خلال روحه الحامية (génie de Ptolémée)، أو يُربط بإله معروف الهوية (الروح الحامية للمستعمرة بالنسبة لغولوسا، والإلهة فينوس بالنسبة لجوبا الثاني وبطليموس، والإله زحل بالنسبة لبطليموس) أو بإله غير معروف (كما في سالا).

إلى جانب المبنى نفسه، الذي كان جزءًا من القرابين، بل وأكثر مكوناته وضوحًا وتكلفة، كانت الطقوس تعتمد على عناصر طقسية أخرى متباينة في طبيعتها، لكنها لا تقل أهمية في إتمام الطقس: وتأتي التماثيل في مقدمة هذه العناصر، إذ مثّلت تجسيدًا رمزيًا لحضور الملك. وقد ثبت وجود ما لا يقلّ عن تمثال واحد في مدغاسن، حيث عُثر على جزء من ذراع حجرية مصبوغة باللون الأصفر الترابي، مفقودة الآن[5]، كما يُحتمل أن تكون المنصّة العلوية قد استقبلت تمثالًا واحدًا أو أكثر؛ حيث عُثر على جزء من عباءة برونزية في خروب[6].

يذكر نقش قبر ميكيبسا إهداء تمثال "يرتدي عباءة"، بحسب ترجمة فيفرييه؛ وربما كانت تلك العباءة قطعة متحرّكة مصنوعة من المعدن، تُستخدم لتزيين التمثال خلال طقوس معينة، مما يُضفي عليه طابعًا احتفاليًا يتجاوز الوظيفة النحتية الثابتة. أيضًا كانت العباءة أحد الرموز أو الشارات المميزة للسلطة الملكية في العصر النوميدي؛ حيث تظهر بوضوح في بعض القطع النقدية البرونزية التي تصوّر الملك سيفاكس على هيئة فارس يمتطي صهوة جواده المسرع، إذ صورت العباءة وكأنها ترفرف في الهواء[7]. وعلى بعض العملات الماسيلية ثم الموريتانية، يظهر هذا العنصر بوضوح أقل، غير أنّه يمكن تمييزه وهو ملفوف ومثبت حول عنق الصور الملكية[8]. وقد شكّلت هذه القطعة من اللباس جزءًا من رموز الشرف والسلطة التي كان مجلس الشيوخ الروماني يبعث بها إلى الملوك الحلفاء، علامةً على الاعتراف بشرعية حكمهم[9]، وهي التي ساهمت في بلورة الصورة الملكية منذ القرن الثاني قبل الميلاد. ولا يُعرف

---

[1] AE, 1966, 595 = AE, 1980, 961 : *Veneri [?] / cum duabu[s statuis] / Iubae et Ptol[emaei ? recu]batoriis quat[tuor insignibus] / ornatis Serg (ius) Su[…].*

[2] Gulussa : CIL, 8, 18752, entre Aïn Beida et Guelma *(Genio col(oniae) […] R ND Gulugae NV[midiae] Reg(i) / [regis Mas]sin[issae] il(io) Mi[...]s [...] RR Drusus /PM LEG […] MI [...] R [...] fulgur TEM IVN / honor(?) s(ua) p(ecunia) d(ecreto) d(ecurionum)* ; Ptolémée : *AE*, 1938, 149, Cherchell *([Pro salute r]egis Pt<o>lemaei / [r]egis Iubae f(ilii) reginante / anno decumo Antistia / Galla uot um Saturno solui / libens merito uictuma accepta / [a]b Iulia Respecti f(ilia) Vitale Rusguniense)* ; CIL, 8, 9257 = ILS, 841, Alger *([R]egi Ptolemae[o] / reg(is) Iubae f(ilio) / L(ucius) Caecilius Rufus/ Agilis f(ilius) honoribus /omnibus patriae / suae consummatis / d(e) s(ua) p(ecunia) f(aciendum) c(urauit) et consacrauit.*

[3] مدينة ثوبورسيكو نوميداروم (Thubursicu Numidarum) هي مدينة أثرية رومانية–نوميدية تقع في ولاية سوق أهراس الحالية بالجزائر. المترجم

[4] غادياوفالا (Gadiaufala) هي مدينة أثرية رومانية–نوميدية تقع في ولاية سوق أهراس بالجزائر. المترجم

[5] الذراع عثر عليه في الساحة المُبلَّطة الواقعة إلى الشرق من النصب، لكن من الممكن أن تكون سقط من المنصّة العلوية:
Gabriel Camps, sv Medracen, art. cit., p. 4838.

[6] Friedrich Rakob, «Numidische Königsarchitektur», art. cit., p. 15ĸ-166 et « Architecture royale… », art. cit., p. 325-348.

[7] Jacques Alexandro PouloS, *Les monnaies de l'Afrique antique*…, op. cit., p. 393, n°s 1-3 et p. 394, n° 6.

[8] Id., p. 394, n° 7 (avers, efigie de Verminad) ; p. 396, n° 9 (Massinissa) ; p. 401, n°s 29, 31 (argent, Juba I) ;p. 413, n° 67 (or, Juba II) et p. 414, type B (argent, Juba II), p. 422, n°s 208-210, p. 423, n°s 215-218, p. 424-425, n°s 225-229 (bronzes, Juba II) ; p. 427, A-D وجه العملة الأنماط (or, argent, bronze, Ptolémée).

[9] René Rebuffat, « L'investiture des chefs de tribus africaines », dans Françoise Vallet et Michel Kazanski

على وجه اليقين من أي مادة صُنع تمثال ميكيبسا؛ إذ إن الرخام والبرونز والخشب هي المواد الأكثر شيوعًا، وأحيانًا أيضًا الطين المشوي. كما لا يُعرف حجمه بدقة، لكن بما أنّه كان موضوعًا داخل الغرفة الجنائزية، يمكن تخيّله بالحجم الطبيعي أو أكبر قليلًا، على غرار تمثال بطليموس المصنوع من الرخام، الذي عُثر عليه في معبد بمدينة سلا (بارتفاع 1.85 م)[1]. أما تمثال يوبا الثاني – الذي لم يبقَ منه سوى الرأس – والذي وُجد كذلك في سالا، فكان متوسط الحجم (نحو 90 سم)[2].

لقد أدخلت الثقافة الجنائزية اليونانية-الرومانية إلى نوميديا عادة تمثيل المتوفّى أمام قبره أو فوقه، وكذلك داخل حجرة الدفن التي كان يشغلها، وذلك بطريقتين: من خلال رفاته (محروقة أو مدفونة) ومن خلال صورته، ضمن إطار من التكرار يهدف إلى تأكيد وجوده، حيًا بعد الموت. وكانت فكرة ديمومة الحياة معروفة أيضًا في العالم السامي، حيث عُبّر عنها بصيغة جنائزية محددة: ففي شرشال وُصفت امرأة متوفاة باللفظ البونيقي بأنها "حيّة" (lhhym)[3]، كما وُصف ميكيبسا بـ "حيّ الأحياء" (hyhym)[4]. هذا اللقب يُضفي عليه حيويةً استثنائية، فهي ليست حيوية الحياة العادية، بل حيوية شخصٍ متوفى لم يُضعف الموتُ من قوته، بل ربما زادتها. أما ابنُ أخ ميكيبسا الصغير فكانت وظيفته «مربّي الإله»[5]؛ وهذه الصيغة تعني أن المهام الكهنوتية الموكلة إليه هي العناية بالتمثال وإقامة الطقوس حوله، ولا سيما تمثال الملك، الذي حظي بالتالي بعنايةٍ مماثلة لتلك التي تُولى لتماثيل الآلهة، لأن قوته في التأثير كانت تُعادل قوتهم.

في مرحلة لاحقة، يظهر تمثال بطليموس بمدينة "سالا" في هيئة العُري البطولي—تلك الصورة المعروفة بـ "الأبطال العراة"—والعباءة الملكية منسدلة على كتفه الأيسر، مستفيدًا مما تحمله هذه الهيئة من دلالات رمزية. فقد شاع استخدامها لتمثيل الأباطرة، وقبلهم بعض الشخصيات الرومانية البارزة كـ"بومبي"، في تقليد أيقوني للإسكندر الأكبر وملوك العصر الهلنستي. وكانت هذه الوضعية تُدرجه ضمن نخبة الملوك الذين يُنظر إليهم كـ"سادة العالم"، في تجسيد مجازي للقوة والسيادة المعترف بها آنذاك على نطاق واسع. كانت تماثيل كل من جوبا الثاني وبطليموس تقف إلى جانب تمثال الإلهة فينوس في مدينة شرشال ضمن طقس تعبّدي يكرّم هذه الإلهة. وقد شكّلت هذه المجموعة النحتية تكوينًا مهيبًا، إذ كان الملكان محاطين بأربعة رموز، يُرجّح أنها من الشارات الملكية التي منحتها روما لحلفائها من الملوك[6]، وقد أُسنِدت هذه الرموز إلى دعامات خاصة. ومن المرجّح أن هذه الدعامات كانت عبارة عن كرسيين من نوع كورول (curule)، كانا أيضًا جزءًا من هذه الشارات، وكان كلّ كرسي مصحوبًا بأغراض طقسية ذكرتها المصادر، مثل العباءة، الرداء الموشّى (toga picta)، الصولجان، التاج، وربما الحصان، أو صحن القرابين (patère)، وأخيرًا – وإن كان بدرجة أقل ترجيحًا – الخاتم الذهبي. ومن المحتمل أن تكون المجموعة النحتية قد وُضعت داخل مبنى، ولكن لا شيء يستبعد احتمال عرضها أمام معبد مخصص للإلهة فينوس؛ وفي هذه الحالة، كان من الضروري أن تُختار المواد بناءً على مقاومتها للعوامل الجوية، مع استبعاد الخشب بسبب هشاشته وعدم قدرته على البقاء في الهواء الطلق بشكل دائم. لقد كان إقران الملوك بإله ممارسة قديمة في العالم اليوناني، ثم أُعيد اعتمادها في العصر الإمبراطوري كجزء من التبجيل الذي كان يُقدم للأباطرة في حياتهم: فدون أن يُعترف بهؤلاء القادة كآلهة بشكل صريح، كان وضع تماثيلهم بالقرب من تماثيل الآلهة يحمل دلالة رمزية قوية، حيث يُعبّر عن علاقة استثنائية أو "رفقة" بينهم وبين تلك الآلهة، وأن استقبالهم لطقوس دينية مشتركة أو مشابهة لتلك المقدمة للآلهة يُقوي هذا الانطباع الرمزي ويوطّده. وقد تم إدخال هذه الممارسات في مملكة موريتانيا تحت تأثير العبادات الموجهة إلى

(dir), *La noblesse romaine et les chefs barbares du IIe au VIIe siècle, colloque de Saint-Germain-en-Laye, 16-19 mai 1992*, Paris, 1995, p. 23-33.

[1]Jean Boube (« Une statue-portrait de Ptolémée de Maurétanie », *RA*, 1990, p. 331-360, fig. 3-8, 11-15) et Christa Landwehr (« Les portraits de Juba II, roi de Maurétanie, et de Ptolémée, son fils et successeur), *RA*, 2007, p. 65-110, voir p. 72 ; *ead.*, *Die römischen Skulpturen von Caesareae, IV, Porträtplastik*, Mayence, 2008, p. 32-34)

يرى كلاهما أن هذا القياس يفوق الحجم الطبيعي، ومع ذلك لا يُستبعد أن يكون الملك طويل القامة، فوجود رجل يبلغ طوله 1.85م لم يكن أمرًا غير مألوف في زمن العصور القديمة.

[2] Jean Boube, « Un nouveau portrait de Juba II… », art.cit., p. 92 ; Christa Landwehr, « Les portraits de Juba II», art. cit., p. 74, n. 46, fig. 11, et *Die römischen Skulpturen…, op. cit*., p. 9, fig. 5 a.b, p. 9.

[3] Karel Jongeling, *Handbook of Neo-Punic*…, op. cit., n° 1, p. 193, l. 3 ;

عند الساميين، كانت نفس الفرد تظلّ مقيمة في القبر، بينما كانت روحه ترتقي إلى السماء:

Fernando Prados Martínez, *Arquitectura púnica*…, op. cit., p. 73-74.

[4] James-Germain février, «L'inscription funéraire… », art. cit., p. 138-150, 1.1 ; Jacob HoftiJzer et Karel Jongeling, *Dictionary of the North-West Semitic*.

[5] هذه ترجمة موريس شنايسر على موقع متحف اللوفر حيث تُعرض صورة الحجر المحفوظ هناك، وهي تتطابق مع ترجمات أخرى:

Karel Jongeling, *Handbook of Neo-Punic*…, op. cit., p. 195; Philippe Berger, 1888 [1889], p. 3.

[6] انظر الحاشية رقم 40

الأباطرة، إما بشكل عفوي في المدن المتأثرة بالنماذج الرومانية، أو بمبادرة من ملوك موريتانيا أنفسهم[1]. إن تمثال بطليموس، الذي عُثر عليه في معبد بمدينة "سالا" إلى جانب تمثال ضخم مجهول الهوية، يُعد مثالًا جيدًا على الرفقة الإلهية: فالإله (أو الآلهة؟) الذي كان يملك المعبد غير معروف، غير أنّ المؤكّد أنّ الملك كان يُعدّ من خاصّة المقرّبين إليه، لا بعد مماته فحسب، بل أيضًا في حياته. ومن الجدير بالملاحظة أنّ هذا التمثال قد ظلّ قائمًا حتى العصر المتأخر، مؤكّدًا بذلك ما ورد في النصوص المسيحية التي تشهد على استمرارية الطقوس الدينية المحيطة بالملوك الأفارقة حتى القرن السادس الميلادي[2]. وفي مدينة شرشال، ارتبط الملك بطليموس بإله آخر هو ساتورن، الذي دُعي باسمه من أجل صحة الملك على إحدى أقدم الشواهد الدالّة على عبادة هذا الإله العظيم في إفريقيا. إن الإهداء الموجَّه إلى الروح الحامية لمستعمرة مجهولة الهوية، قد كرَّم في الوقت نفسه ملك نوميديا غولوسا، وذلك بعد عقود من وفاته. وقد قام مواطن بسيط يُدعى دروسوس بإنجاز هذا الإهداء على نفقته الخاصة. وليس من المستبعد أن يكون هذا التكريم قد تضمَّن تقديم تماثيل، مهما كانت أحجامها وموادها.

شكّلت التماثيل عنصرًا أساسيًا في عدد من الطقوس التي وُثّقت في معظم أنحاء العالم القديم، من المشرق إلى المغرب، منذ أزمنة بعيدة. وكانت مواكب التماثيل، سواء تلك الخاصة بالقادة السياسيين أو بالآلهة، تجسّد هوية الإقليم الذي تهيمن عليه الجماعة المالكة له، سواء أُقيمت داخل المجال الحضري أو على أطراف الفضاء المدني. أما رأس الملك يوبا الثاني، الذي عُثر عليه في الفورم بمدينة سالا، فيُظهر تآكلًا واضحًا في الجزء الأيمن من الوجه؛ وقد رأى الباحث ج. بوب في ذلك أثرًا لحركة طقسية تكررت عبر القرون، دلالةً على الاحترام الموجّه إلى الحاكم الراحل. وبالنسبة للتماثيل الجنائزية الملكية، فمن المرجّح أنها كانت مرتبطة بالضريح الذي نصبت فيه، سواء داخل الغرفة الجنائزية أو عند مدخل الضريح، حيث كانت تُقدَّم لها مظاهر الاحترام المقرّرة من الأسرة والرعايا. يُعدّ نقش التكريس لقبر ميكيبسا المثال الوحيد الذي يقدّم تفاصيل متعدّدة توحي بالمشهد المحيط بالتمثال، وهو مشهد يهدف إلى إبراز قوة الملك وتذكير الجمهور بالمسافة التي تفصله عنهم. وفقًا للقراءة التي اقترحها فڤرييه، فإن النص يتّسم بدرجة كبيرة من التلف ابتداءً من السطر السابع، لكنه يشير إلى سلسلة من القرابين العطرية: «عطور مع مبخرة، وطيوب ومرّ، مع قصب عطري ولبان». وقد ازدادت بذلك روعة التمثال وفخامته، بوصفهما استعارة للقوة الملكية، من خلال الروائح الزكية التي كانت تحيط به أو تنبعث منه. تُعدّ العطور المذكورة من المكونات الأساسية في الطقوس الدينية والجنائزية في البحر المتوسط: كانت جميعها باهظة الثمن، وغالبًا ما كانت تُستورد من مناطق بعيدة[3]، وكانت تُعبّر عن رفعة الشخصية المُكرَّمة، سواء أكان إلهًا أو إنسانًا، في حياته أو بعد وفاته. يُعدّ المرّ واللبان من بين أجود المنتجات، وبالتالي من أكثرها تقديرًا. يُستخدم المرّ، وهو راتينج، لسببين: لرائحته القوية والدائمة، وأيضًا لخصائصه القابضة التي تساعد على تثبيت المكونات العطرية في الزيت الأساسي[4]. أما اللبان، فهو من النباتات التي تُدمج في تركيبة العطر، وكان له تأثيرٌ قويٌّ على رائحته[5]. كان من الممكن أيضًا استخدام المرّ، واللبان، وغيرها من المواد العطرية إما بشكل منفرد (على هيئة حبيبات)، أو ضمن مساحيق عطرية، أو في خلطات من مواد جافة ثم تُعرّض هذه المواد للنار فتنبعث منها رائحة زكية[6]. وهكذا، كانت "المبخرة" المذكورة في النص ضرورية لسير الطقوس: فقد كانت بمثابة وعاء وموقد، ومن الثقوب الصغيرة المنتشرة على الغطاء، كانت الروائح والدخان تتصاعد نحو الإله أو المتوفي. لقد كان الدخان العطري يُجسّد الرابط الذي تُنشئه الطقوس بين المتعبّد والمستفيد من الشعيرة. ومن المؤكّد أنّ هذه القرابين العطرية

[1] Michèle Coltelloni-trannoy, « Le culte royal sous les règnes de Juba II et de Ptolémée de Maurétanie », dans Actes du115e Congrès des Sociétés Savantes,
Avignon, 1990, *Ve Colloque sur l'Histoire et l'Archéologie de l'Afrique du Nord*, Paris, 1992, p. 69-81 ; *ead*., *Le royaume de Maurétanie sous Juba II et Ptolémée*, Paris, 1997, p. 194-199.

[2] Tertullien, Apol., 24, 8 ; Minucius Felix, Oct., 21, 9 ; Cyprien, *Quod idola non sint*, 2, 6 ; Lactance, Inst. Div., I, 15, 8 ; Prudence, Perist., IV, 45-48 ; Isidore de Séville, Etym., VIII, 11, 1-2.

[3] في قرطاج، كانت صناعة العطور من الحِرَف التقليدية، ومن المرجّح أنّها انتقلت إلى الحرفيين النوميديين:
José Gran-Aymerich, « La diffusion des parfums de Carthage à la péninsule ibérique », *Les Dossiers de l'Archéologie,* 337, 2010, p. 52-57.

[4] Maria Luisa Bonsangue et Nicolas Tran, « Le métier de parfumeur à Rome et dans l'Occident romain », dans Lidye Bodiou, Dominique Frère et Véronique Mehl (dir.), *Parfums et odeurs dans l'Antiquité*, Rennes, 2008, p. 253-262, voir p. 254-255.

[5] Francis Prost, « L'odeur des dieux en Grèce ancienne. Encens, parfums et statues de culte », dans Lidye Bodiou, Dominique Frère et Véronique Mehl (dir.), *ibidem*, 2008, p. 97-103.

[6] Rachel Touzé, « Les matières premières employées dans la confection des huiles, onguents et poudres parfumées en Grèce ancienne », dans Lidye Bodiou, Dominique frère et Véronique Mehl (dir.), *ibidem*, 2008, p. 45-59, voir p. 53.

كانت ترافق أشكالًا أخرى من التعبّد، كما يشهد على ذلك المذبح القائم أمام قبر كُبور كليب[1]، وكذلك الإهداء الموجَّه إلى الإله ساتورن من أجل سلامة الملك بطليموس، والذي يُشير إلى ممارسة تقديم القرابين الدموية.

إن الأضحية، التي لم يُحدَّد نوعها في النص (أكانت ثورًا أم كبشًا أم بقرة؟)[2]، شكّلت محور طقس التضحية عند الرومان[3] الذي كان يُختتم بلحظة من المشاركة الجماعية؛ إذ يتناول الكاهن والمتعبدون وجبتهم بعد «وجبة الآلهة»، حيث تُحرَق الأحشاء (exta) — وهي الجزء المخصَّص للآلهة من القربان— على المذبح. ومن المرجّح جدًا أنّ هذا الطقس القائم على الأضحية كان يُمارَس أيضًا في نوميديا، وإن وفق طرائق مختلفة بعض الشيء، كما أنّ طقوسًا مشابهة وُجدت في الديانة الفينيقية[4]. وقد رأت المجتمعات المتوسطية في الوجبة المشتركة مع الآلهة لحظةً محورية لترسيخ الانسجام الكوني والمجتمعي، عبر تأكيد التسلسل الهرمي بين البشر والآلهة، وكذلك بين الأفراد والسلطة الحاكمة. وقد امتزجت آنذاك رائحة اللحم المشوي بعبق العطور المصاحبة للاحتفال، فيما كانت تُضاف إلى هذه الأطعمة سوائل كالنبيذ والماء والعسل والحليب، إمّا لأغراض التطهير أو كجزء من الوليمة، غير أنّ مصادرنا لا تذكرها.

كانت هذه الموائد الجماعية تتطلب مساحاتٍ قادرة على استيعاب أعداد كبيرة من المشاركين، لا سيما عند إحياء ذكرى الملوك. ففي مواقع مثل "سالا" و"دُقَّة"، استفادت المباني التي تضم التماثيل الملكية من المساحة المفتوحة للمناطق التي شُيّدت عليها. أما في حالة معبد ماسينيسا، فإن الطرح الذي قدّمه فرنسوا ديكريه ومحمد فنطر يكتسب وجاهة خاصة، إذ ينسجم مع المفهوم السائد للقداسة في السياق االمحلي-الروماني. فالمكان يُعدّ مقدّسًا ليس فقط ببنيته المعمارية، بل من خلال الأفعال التعبدية التي تُمارس فيه: زيارات تكريمية، تقديم القرابين، واجتماعاتٍ دينية، وولائم جماعية. ومن هذا المنظور، فإن ما يُعرف بـ"معبد ماسينيسا" لا يُقارب نموذج المعابد الكلاسيكية بقدر ما يقترب من مفهوم "الزاوية"، بوصفها فضاءً روحانيًا يجمع بين التبجيل والوظيفة الاجتماعية[5].

أمّا الأضرحة العظيمة في مدغاسن وتيبازة، فقد وُجّهت نحو الشرق، على غرار بعض مقابر التلال في فترة ما قبل التاريخ والمدافن المعروفة محليًا باسم "الجدّارات" في منطقة تيارت (الجزائر) والعائدة إلى الفترة الوندالية[6]. وهي ترتكز على منصّة مرصوفة نسب إليها غابرييل كامبس وظيفة شعائرية[7]. كما أن معلم بني رنان يضم هو الآخر رصفًا حجريًا كبيرًا في الشرق قرب المدخل[8]، قد يكون مخصَّصًا للدور نفسه. ومن المحتمل أن هذه التراكيب قد احتضنت ولائم أو طقوسًا أخرى أيضًا، حول التماثيل خصوصًا، ومنها ممارسات "الاحتضان الروحي[9] " (incubation) المثبتة منذ زمن بعيد في شمال إفريقيا[10]. يمكن تصور نوع آخر من الممارسات المرتبطة بموقع المعالم الجنائزية، والتي قد تكون موثقة على شواهد قبور من العصور ما قبل الرومانية والرومانية، خاصة في منطقة

[1] Naidé Ferchiou, « Kbor Klib », art. cit., p. 75-76, fig. 41-43.

[2] Marcel le Glay, *Saturne Africain. Les monuments*, t. 1. *Afrique proconsulaire*, Paris, 1961.
; *id., Saturne Africain. Les monuments*, t. 2. Numidie et Maurétanie, Paris, 1966.

[3] John Scheid, *La religion des Romains*, Paris, 1998, p. 72-84.

[4] Corinne Bonnet et Paolo Xella, ch. X *La Religion*, dans Véronique Krings (dir.),
La civilisation phénicienne et punique, Paris, 1995, p. 316-333, voir p. 326.

[5] François Decret et Mhamed Fantar, *L'Afrique du Nord dans l'Antiquité, des origines au Ve siècle*, Paris, 1981, p. 258.

[6] Fatima Kadra, *Les Djedars, monuments funéraires berbères de la région de Frenda*, Alger, 1983 ;
Gabriel Camps, sv Djedars, *Encyclopédie berbère*, 16, 1995, p. 2409-2422.

[7] Gabriel Camps, sv Médracen…, op. cit., p. 4838
وفقًا لتقرير الكولونيل كاربوتشيا، في عام 1849 أو 1850، الذي يسجل أيضًا وجود بناء بتقنية خفيفة، في الجهة الشرقية: بطول 25 مترًا وعرض 14 مترًا.
Marcel Christofle, *Le Tombeau de la chrétienne*, Paris, 1951, p. 121, fig. 97.
وعند التوسعة: هناك منصّة أولى (مربّع يبلغ طول ضلعه نحو 6 أمتار، مضافًا إليه امتداد أكثر ضيقًا، ليبلغ المجموع 10,63 م) تقع قريبًا جدًا من المدخل الشرقي للمقبرة وعلى محوره؛ أمّا المنصّة الثانية، وهي أصغر حجمًا (6,43 م × 4,13 م)، فتوجد خلف الأولى على بُعد 12,30 م، مع انحراف طفيف نحو الشمال.

[8] Gustave Vuillemot, « Fouilles du mausolée», art. cit., p. 74 et fig. 5, p.79.

[9] الاحتضان الروحي (Incubation) هو ممارسة دينية–طقسية مقدّس، كالمعبد أو الضريح، بغرض تلقي رؤى أو أحلام يُعتقد أنها صادرة عن الآلهة أو روح الميت، وغالبًا ما تُمارس لأهداف الشفاء أو طلب الهداية.

[10] Nacéra BenSeddik et Gabriel Camps, sv Incubation, *Encyclopédie berbère*, 24, 2001, p. 3714-3722.

القبائل[1] وربما أيضًا في مناطق أخرى[2]. هذه الشواهد الجنائزية (المعروفة باسم "شواهد أبزار" نسبةً إلى مكان الاكتشاف الأول)، سواء كانت منقوشة أو غير منقوشة، يظهر عليها فارسًا منفردًا أو مجموعة من الفرسان؛ أما النقوش البارزة من العصر الروماني فتقرنها غالبًا بمشهد آخر معروف في العالم الروماني، وهو مشهد الوليمة الجنائزية. وقد فُسِّر الفارس المنفرد باعتباره تمثيلًا للمتوفى في هيئة صيّاد، إحياءً لممارسة اجتماعية مرتبطة بمكانته، فيما اعتُبرت المشاهد الجماعية تذكيرًا بعمليات الصيد التي شارك فيها في حياته. ومن دون استبعاد هذه الوظيفة التذكارية (التي هي أيضًا وظيفة الوليمة)، أقترح أن نرى فيها في الوقت نفسه تصويرًا لطقس جنائزي، مثل موكب فرسان أو صيد يُنظَّم عند إقامة الجنازة أو يُعاد تمثيله في ذكرى الوفاة. تتجلّى قيمتها الطقسية بشكل خاص، في رأيي، في حالة الشواهد التي تُظهر الفارس أو الفرسان إلى جانب مشهد الوليمة؛ إذ إن انسجام المشهدين يدعو إلى قراءة متشابهة لهما، باعتبارهما يمثلان لحظتين أساسيتين من تسلسل الطقوس الجنائزية، إحداهما متجذّرة في الموروث الثقافي المحلي، والأخرى مستعارة من الممارسات الرومانية. إن موكب الفرسان عنصر متكرر في الاحتفالات لدى مجتمعات عديدة حتى العصر الحديث؛ وكان ملائمًا تمامًا لمجتمع يُعَدّ فيه فن الفروسية تقليدًا مرموقًا، وجد شكلاً جديدًا في عروض الفروسية التقليدي " fantasia " التي وُثِّقت منذ القرن السادس عشر في المغرب العربي (وخاصة في المغرب)، خلال المهرجانات الخاصة أو الدينية، والتي كانت آنذاك مرتبطة بعبادة المرابطين، قرب ضريح أحد الأولياء[3].

***

إن تعدّد صور التكريم وتنوّع الأمكنة التي جرت فيها يشهد على الطابع المتعدّد الأشكال للتبجيل الذي أحاط بالملوك الأفارقة عبر الزمن. ويمكن تفسير مثل هذا التنوّع بعاملين اثنين: فمن جهة، لقد اغتنت الطقوس الجنائزية التقليدية بنماذج خارجية (هلنستية ثم رومانية) مع تطوّر مفهوم الملك وتجسّد هذه الحقيقة السياسية في مناسبات تاريخية كبرى (التحالف مع روما، الحروب الأهلية الرومانية، قيام النظام الامبراطوري، وإنشاء المدن). ومن جهة أخرى، لم توجد قط سلطة واحدة توحّد هذه المظاهر التعبدية؛ إذ إن الأسر الملكية ثم المدن والأفراد العاديين قد وظّفوا ذكرى الملوك لتلبية حاجات تطوّرت هي نفسها مع مرور الزمن. وفي العصر الروماني، كان الملوك يُعتبرون حماة أقوياء، يُكرَّمون على غرار الأباطرة أو النبلاء مقدمي الأعمال الخدمية في البلديات، من خلال احتفالات كانت توحّد الجماعات الرومانية-الأفريقية حول شخصيات جامعة. ويُلاحظ أمر غريب، وهو أنّ الملوك الراحلين منذ زمن بعيد كانوا يحظون في أماكن عدّة بتكريم مماثل لذلك الذي يُقدَّم للأحياء؛ إذ إن شخصهم كان يتجاوز ذلك الحاجز الفاصل بين عالم الأموات وعالم الأحياء، ومن ثمّ يتضح أن ذاكرة الملوك أسهمت في بناء الهوية الجماعية للمجتمعات الأفريقية، بحيث تجاوزت مجرد التاريخ السياسي للملوك، وتخطّت أيضًا الحدود التقليدية التي تميّز بين عالم الآلهة وعالم الموتى وعالم الأحياء.

[1] Jean-Pierre Laporte, « Stèles libyques figurées de Kabylie et structures sociales libyco-berbères anciennes », dans Slimane Hachi et Djamil Aïssani
(dir.), *Bejaïa, centre de transmission du pouvoir, Travaux du CNRPAH*, n.s., 4, Alger, 2008, p. 23-31 ; *id*., « Stèles libyques et libyco-romaines de la Wilaya de Bejaïa », *Travaux du CNRPAH*, Alger, 2013, n.p.

[2] Zeïneb Benzina Ben Abdallah, Catalogue des inscriptions latines païennes du musée du Bardo, Rome, 1986, p. 273, n° 86 et pl. 86.

[3] Michel Peyron, sv Fantasia, *Encyclopédie berbère*, 18, 1997, p. 2721-2727.